

عنوان البحث: (البرامج التعليمية ورعاية الموهوبين)

اسم الباحثة: د. نورة علي خليل، جامعة الإمارات العربية المتحدة

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

و بعد،

فإنَّ التقدّم الهائل الذي يعيشه العالم الآن جاء نتيجة تضافر عدد من الأسباب، ربما يأتي في مقدمتها إسهامات الموهوبين من البشر في شتى مناحي الحياة، وقد جاءت هذه الدراسة بعنوان (البرامج التعليمية ورعاية الموهوبين) انطلاقاً من المعطيات التالية:

- * أن بعض الناس يمتلكون طاقات إبداعية عظيمة، ومتنوعة، ولكن كثيراً منهم لا يلتفتون إليها، ولا يكتشفونها؛ فتضمّر الموهبة، ويتوقّف الإبداع.
- * أن البيئة التي تحيط بالمبدع يمكن أن تؤثر في الموهبة والإبداع تأثيراً إيجابياً، إذا وقفنا على آليات ذلك.
- * أن البرامج التعليمية - في العصر الحديث - قد تغيرت أهدافها على جميع الصعد التربوية، وخاصة الفكرية، وهي تسعى - في الغالب - إلى اكتشاف الطاقات الإبداعية للطلاب، وتنمية قدراته الكامنة التي تقوده إلى تحقيق إنتاج جديد.

وانطلاقاً من المسلمات السابقة، سيسلط هذا البحث الضوء على ثلاثة محاور رئيسية، تأتي على النحو التالي:

أولاً: تعريف الموهبة، وأهمية البحث عنها.

ثانياً: رعاية الموهوب ضرورة إنسانية واجتماعية واقتصادية، وهي مُتطلب قومي.

ثالثاً: البرامج التعليمية ودورها في رعاية الموهوبين.

العرض:

أولاً: تعريف الموهبة، وأهمية البحث عنها:

(أ) تعريف الموهبة:

ننطلق بداية من تعريف الموهبة، والمفاهيم المتنوعة التي حاولت أن تقرّب معناها إلى الأذهان، وباستعراض ما كُتب بهذا الشأن، نجد أنّ هناك الكثير من المهتمين والمفكرين قدّموا بعض المفاهيم مثل: توراني ، وسمبسون ، ولوينفيلد وغيرهم ، ولعل من أبرز ما ورد في معنى هذا المصطلح، ما يلي:

. الموهوب هو ذلك الشخص الذي يمتلك نشاطاً يميزه عن أقرانه يتفوقه عليهم، وهو يبدي إمكانية إبداع مستمرة في مناسبات الحياة المتعددة فيبرز ويتفوق وفق هذا النشاط.

. الموهوب هو كل ذي موهبة سواء أكان ذكاءً ممتازاً ، أو قدرة ابتكارية عالية أو استعداداً، أو قدرة خاصة متميزة.

وفي تعريف باربارا كلارك للموهبة تقول:

" الموهبة قدرة فطرية، أو استعداد موروث في مجال واحد أو أكثر من مجالات الاستعدادات العقلية والإبداعية والاجتماعية والانفعالية والفنية، وهي أشبه بمادة خام تحتاج إلى اكتشاف وصلق؛ حتى يمكن أن تبلغ أقصى مدى لها".

وجاء في الموسوعة التربوية أن الموهبة عند الفرد يمكن حصرها في القدرة العامة للذكاء، والقدرات الخاصة مثل: الفنون، أو العلاقات المكانية، أو القيادة، أو القيادة، ... ١

. كما تُعرّف الموهبة بأنها: تلك القدرة الرائعة التي تجعل الطفل عند القيام بنشاط ما، يُظهر أداءه بتميّز، وتجعله متفرداً وممتلكاً لخصائص وسمات يحتمل ألا يمتلكها الآخرون.

- وجاء في معجم الطفولة أنّ: الموهبة منحة أو عطية إلهية للفرد، يتميز بها عن نظرائه في مستويات الإدراك والذكاء، وسرعة ودقة إنجاز نشاط متميز .

أما عن التعريف اللغوي للموهبة، فقد جاء: وهب؛ أي: أعطى بلا مقابل، والهبة هي الهدية، وقد عرفها اللغويون بأنها قدرة استثنائية، وهي استعداد فطري غير عادي لدى الفرد.

وفي التعريف الاصطلاحي للموهبة قيل: إنّ الموهبة مفهوم بيولوجي متأصل؛ يعني: ذكاءً مرتفعاً، ويشير إلى تطور متقدم ومتسارع لوظائف الدماغ وأنشطته، بما في ذلك الحس البدني والعواطف والمعرفة والحدس.

ومما سبق نجد أنّ هناك شبه إجماع على أنّ الإنسان الموهوب يختلف عن العاديين من الناس، وأنّه متميّز وبارع، وأنّ الموهبة عطية من الله تستحق الرعاية والاهتمام.

(ب) أهمية اكتشاف الموهبة.

١ . عاصم محمود الحيايني، الشباب الموهوبون وكيفية توجيههم نحو العمل المبدع، آداب الرفادين، ع ١٧، ص: ٣٠١. (بتصرف)

يمكن أن نصوّر الموهبة بأنها كنز من كنوز الطبيعة، تحتاج إلى بحث وتقيب، ومع أننا لا ننكر أنّ بعض كنوز الطبيعة تكشف عن نفسها بنفسها، وربما يجدها بعض الناس بالصدفة، ولكن نحن في زمن أصبح التعويل على الصدفة وحدها من الأمور المستهجنة؛ ذلك أنّ نسبة الاكتشاف من خلال الصدفة ستكون نسبة متدنيّة بشكل كبير؛ لذلك فعلينا أن نخطط بدقة ونبحث عن الوسائل والطرق التي من خلالها ننقب عن الموهوبين ونكتشفهم، قبل أن تضمّر الموهبة وينطفئ بريقها، فكم من زهرة فوّاحة العطر ذبلت وانتهت لأنها لم تجد الاهتمام والرعاية التي تستحقها.

وقد أشار ماك كيلاند إلى أنّ الموهبة يمكن أن تُطمس أو يُقضى عليها بسبب بعض العوامل كانهخفاض مستوى التحصيل الدراسي، أو الحرمان الاقتصادي والعجز المالي، أو نقص الدافعيّة، أو اندام القيم التي تدفع الفرد نحو مزيد من الارتقاء مع ملاحظة أنّ هذه العوامل تتفاعل مع بعضها، وتؤثر في بعضها البعض.^٢

ومن هناك كان البحث والتقيب عن الموهبة ضرورة ترتقي إلى مستوى الواجب.

وانطلاقاً من الشعور بأهمية التعرّف على الموهوبين، ظهرت على الساحة التربويّة الكثير من البرامج التي تسهم بشكل فعّال في هذا المجال.

ويعد برنامج التعرّف على الموهوبين العمود الفقري للكشف عن هذه الفئة في التعليم بمختلف مراحلها، والتي يُمكن رصدها من خلال الزيارات الميدانية واستمارات التقييم الدورية.... وغيرها من الوسائل.

وهناك برنامج سنوي معتمد في كثير من البلدان يشمل على شروط الترشيح والتعرف والتصنيف للطلبة الموهوبين، والتقييم والمتابعة لهم، من خلال استخدام اختبارات ومقاييس الذكاء والإبداع والقدرات الخاصة، التي يتم تصميمها وتقنينها؛ بهدف اختيار الطلاب وترشيحهم لبرامج الرعاية الخاصة بالموهوبين.

وهناك البرنامج المسائي الإثرائي، والذي يعقد في مراكز رعاية الموهوبين أو المدارس ذات الإمكانيات المناسبة في الفترات المسائية للطلبة المرشحين، لتنمية مواهبهم وصقلها وفق برامج معدة مسبقاً لذلك الغرض.

والمستعرض لتاريخ الاهتمام بالموهبة على المستوى العربي يجد أن هذا الاهتمام جاء متأخراً بشكل كبير عن نظيره في المجتمعات الغربيّة، ولكنه سار بخطوات ثابتة تستحق الإشادة.

ومهمة الكشف عن الموهبة مهمّة دقيقة تتطلب تنمية الكوادر الإشرافية للقيادات على مستوى الإدارات التعليمية بمختلف المناطق، وتستلزم استحداث وتطوير مستمر للبرامج التدريبية لمعلمي ومشرفي الموهوبين، وهو عبارة عن برنامج يعد لمتابعة الحاجات العلمية والتدريبية الملحة لدى المعلمين المشاركين في برنامج رعاية الموهوبين داخل مدارس التعليم العام، ويسعى إلى تأمين المشرفين المتفرغين في المراكز، ولا بد أن يتم تنفيذ هذا البرنامج بصورة متتابعة.

وفي داخل كل مدرسة يجب تخصيص لجنة لرعاية الموهوبين، تكون مهمتها توفير الخدمات التربوية المناسبة للطلبة الموهوبين، عن طريق التنسيق بين أركان وعناصر العملية التربوية والتعليمية.

٢ . د. عبدالرحمن العيسوي، سيكولوجية الإبداع، دراسة في تنمية السمات الإبداعية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤، ص ٦٩.

ثانياً: رعاية الموهوب ضرورة إنسانية واجتماعية واقتصادية، وهي مُتطلب قومي:

إن النصف الأخير من القرن العشرين قد شهد اهتماماً خاصاً بالإبداع، وتميز برعاية المبدعين والعناية بهم ، واتجه مئات العلماء والباحثين وعشرات من المؤسسات العامة والخاصة بدراسة المبدعين وخصائصهم، وبدأ العمل بوضع البرامج التربوية لتنمية المواهب والابتكارات لدى الأطفال والتلاميذ منذ المراحل المبكرة من حياتهم، كما صدرت العديد من المؤلفات والكتب والمجلات التي تتناول الإبداع وتعنى بتربية الموهوبين.

و قد تحققت إنجازات مهمة في تطوير أدوات وأساليب القياس الخاصة بالمبدعين وبالعملية الإبداعية، وصُممت مئات الاختبارات وأدوات القياس الموضوعية، وتم تقنين وتجريب هذه الاختبارات على نطاق واسع في كثير من الدول.

إنَّ الاهتمام بالموهوبين بات من الأهداف الأساسية التي ينادي بها الباحثون والمعلمون والمربون بداية من مراحل الاكتشاف المبكر لمواهبهم وقدراتهم والتعرف على خصائصهم ثم العمل على تنمية هذه المواهب عن طريق التعليم والتدريب الموجه.

وينبغي أن ينصب هذا الاهتمام على جانبين اثنين، هما:

أولاً: (البيئة) بمفهومها الواسع الذي يشمل البيئة الاجتماعية والنفسية والمادية بأبعادها المختلفة: الأسرة ، والمدرسة، والمجتمع بمؤسساته المتعددة الرياضية والاجتماعية والثقافية...

ثانياً: (الطفل) باعتباره محور الاهتمام الأساسي في عملية التنمية المقصودة.

وفي حقيقة الأمر هما أمران متداخلان؛ ذلك أنَّ الاهتمام بالبيئة هو اهتمام بالطفل.

إنَّ **الموهوب** يحتاج إلى رعاية خاصة تساعده على تنمية طاقاته إلى أقصى درجة ممكنة، وهذا يتطلب وجود خدمات متكاملة، وجهود متضافرة من قِبل الوالدين، والأهل، والمعلم، والمدرسة، ومن كافة الهيئات والمؤسسات. وعلى كل من يعيش في بيئة الطالب الموهوب أن يستحضر مسؤوليته تجاه هذا الإنسان المتميز، وهناك استراتيجيات متنوعة في برامج رعاية الموهوبين، لعل من أبرزها:

- تطبيق برامج متعددة المسارات (Part – Time, Subject –By- Subject)
- تنفيذ برامج تجميع لبعض الوقت.
- برامج ضمن الصف العادي.
- برامج نهاية الأسبوع والعطل المدرسية.
- برامج قبل أو بعد الدوام الرسمي.
- برامج المسابقات الخاصة.

ثالثاً: البرامج التعليمية ودورها في رعاية الموهوبين:

تلعب البرامج التعليمية دوراً كبيراً في رعاية الموهوبين وتنمية مواهبهم، وهناك أشكال مختلفة وتطبيقات متنوعة لهذا التعامل، وهناك الكثير من الأساليب التي تساهم في رعاية الموهوبين منها: الانتساب المبكر للمدرسة، والتنويع، والتفريد في الحصة المدرسية، وتوزيع المبدعين من العمر الواحد حسب قدراتهم واهتماماتهم في صفوف خاصة أو مدارس خاصة، وتقديم المقررات الإضافية لهم في الفصول الدراسية المتقدمة، والتعلم الذاتي والمستقل حسب القدرات والاهتمامات الفردية، والإسراع في اجتياز الصفوف، وإمكانية إنهاء المرحلة التعليمية خلال فترة زمنية قصيرة، من خلال صفوف اجتياز سريعة تقدم مساقات تعليمية مكثفة، وإمكانية بدء الدراسة الجامعية بشكل مبكر، واعتماد أسلوب التجميع الذي يقدم مقررات متقدمة تتحدى قدرات المبدعين^٣.

ومن أبرز وأشهر البرامج التعليمية التي حظيت بكثير من الاهتمام: برامج التسريع، برامج الإثراء، برامج الإرشاد.

أولاً: برامج التسريع Acceleration:

وهي برامج تهدف إلى مساعدة الطالب المبدع في إنهاء فترة تعليمية ما، في وقت أقل من المتعارف عليه، وهو واحد من أهم الأشكال المعروفة في رعاية الموهوبين.

وهذا النظام ليس جديداً علينا في بلادنا العربية؛ فإنَّ المسلمين الأوائل عرفوا هذا المنهج، وطبقوه عندما كانت حلقات الدروس العلمية تُعقد في المساجد، حيث كان الطالب يُجَارُ حَسَبَ جهده وتَفُوقِهِ، وموهبته، لا حَسَبَ الشهور والأعوام التي يقضيها في الدراسة.

وقد أشارت بعض الدراسات إلى أن العلاقة بين تقدّم عمر الطالب وقدرات الإبداع لديه علاقة سلبية، أي أنه كلما تقدّم العمر بالشخص انخفضت كفاءة قدراته الإبداعية.^٤

ومن هنا كان من الضروري البحث عن الموهوبين في السنوات الأولى من أعمارهم، أي في مرحلة ما قبل المدرسة الإلزامية، منذ العام الثالث للطفل، كما يحدث في اليابان.

ويتخذ الإسراع أشكالاً مختلفة، منها:

- القبول المبكر في المدرسة، وخاصة في الصف الأول من التعليم الأساسي.
- اجتياز الصفوف، والنقل والترفيه الاستثنائي.
- أداء الاختبارات في أوقات متقاربة تسمح باجتياز عدة صفوف متتالية، دون النظر إلى عدد سنوات الدراسة.
- السماح للموهوب بدراسة مقررات وتقديم اختبارات جامعية أثناء الالتحاق بالمدرسة.
- تكثيف المناهج المقررة لمرحلة دراسة معينة.
- دخول الجامعة في سن مبكر.

^٣ . د. محمد حبيب الحوراني، تجارب علمية في تربية الإبداع وتشجيعه، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٩٩٩، ص ٢١

^٤ . د. محيي الدين أحمد حسين، العمر وعلاقته بالإبداع، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٢، ص٣.

ويتميّز هذا النظام بميزتين أساسيتين، هما:

- أنه أسلوب سهل من الناحية الإدارية؛ حيث إنّ إلحاق الفرد المبدع بصف دراسي متقدّم موجود بالفعل، يعتبر أقل إرباكًا بالنسبة لأنشطة المدرسة، وللعاملين فيها، وفيه نوع من الاقتصاد المادي.
- أنه أسلوب يضمن تلبية الحاجات العقلية وتحريض القدرات الإبداعية للفرد المبدع، كما أنه يضمن الخروج المبكر للمبدعين إلى الحياة العملية^٥.

ورغم المزايا الواضحة لهذا النظام إلا أن هناك مشكلة تظهر عند بعض المبدعين، وهي وجود بعض القلق النفسي نتيجة الفارق العمري بين المبدع والطلاب الذين التحق بهم في الصفوف الدراسية التالية لمرحلته، وللقضاء على هذه المشكلة يحتاج المبدع إلى رعاية نفسية خاصة تساعد على اجتياز هذه التجربة بسلام، ويلعب المرشد النفسي دورًا مهمًا في هذه المرحلة.

ثانيًا: برامج الإثراء Enrichment:

وهي شكل من أشكال رعاية الموهبة، ويُقصد به تزويد التلاميذ المبدعين في _ جميع مراحل التعليم _ بخبرات تعليمية جديدة، ومعارف معمّقة واسعة تختلف عن الخبرات والمعارف التي تقدمها البرامج التربوية العادية، وهي تزيد عليها كمًا وكيفًا، وتعتبر أحد الأركان الأساسية في رعاية الموهوبين وتربيتهم، وتتلخّص في إضافة مواد جديدة تتحدى قدرات الموهوبين.

وللإثراء نوعان، هما:

- **إثراء عمودي:** وهو إضافة نشاط ذي مستوى أعلى إلى التعلم القائم.
- **إثراء أفقي:** وهو إضافة خبرات تربوية إلى التعلم القائم.

ويُعدّ برنامج الإثراء والإغناء من أكثر البرامج انتشارًا في العالم، وينطلق من مفهوم الحلقات الثلاث للموهبة لرينزولي.

حيث يرى أن الموهبة تتكون من تقاطع ثلاث حلقات من السمات الإنسانية، هي:

- قدرة عقلية فوق المعدل.
- درجة عالية من الالتزام بالمهمة.
- درجة عالية من الإبداع.

^٥ . د. محمد حبيب الحوراني، تجارب عالمية في تربية الإبداع وتشجيعه، مكتبة الفلاح، الكويت، ط ١، ١٩٩٩م، ص ٣٢.

والطلبة الموهوبون هم الذين يطوّرون منطقة التقاطع بين الحلقات الثلاث، ويحتاجون للعديد من الفرص التعليمية والخدمات التربوية، التي لا تتوافر ضمن برامج التعليم الفردية. ويهدف هذا البرنامج إلى تهيئة الفرص للطلبة لدراسة موضوعات - من اختيارهم - بالعمق والاتساع الذي يطمحون إليه بحرية كاملة، وبالطريقة التي تتفق مع أسلوبهم في التعلم. ولأسلوب الإثراء مزايًا متعدّدة منها: أنه يتم في إطار الصفوف العادية للمدرسة، وهذا من شأنه أن يتيح للتلميذ الموهوب فرصة التفاعل مع أقرانه من العمر الزمني، وهو غير مكلف مادياً، ولا يتطلّب تنظيمًا إداريًا كبيرًا.^٦

وفي هذه الحالة ينبغي أن تكون هناك غرفة خاصة بهؤلاء الطلبة، حيث يتم اختيار الطلبة الموهوبين، ثم يلتحقون في أوقات معينة خلال اليوم الدراسي في مكان تعلّم خاص يتواجد فيه معلم مختص يُطلق عليه (غرفة خاصة). جدير بالذكر أنّ هذه الغرفة الخاصة بدأت تظهر في عدد من البلاد العربية تحت مُسمى (غرفة المصادر) وهي تنتشر بشكل كبير وعلى نطاق واسع. ويتم إعداد هذه الغرف وتزويدها بالمواد والمصادر التعليمية اللازمة، مثل: الكتب والموسوعات، والمواد التعليمية البصرية والسمعية، ويتم تجهيزها بأفضل وسائل التكنولوجيا الحديثة.

أما عن طريقة العمل في هذه الغرفة فيتم التعامل مع الطلبة فيها بشكل فردي أو جماعي، إذ يتم تقسيمهم حسب مجالات الموهبة والاهتمامات والميول. ويلتحق الطلبة الموهوبون بهذه الغرف في أوقات محدّدة ومُنظمة مسبقاً ليتلقوا دروساً إثرائية بما لا يتعارض مع برامجهم الدراسية المُعلنة. ويتواجد في هذه الغرفة معلمون مختصون ومؤهلون للعمل مع الطلبة الموهوبين، ويقومون بتقديم الخدمات والبرامج المناسبة لهؤلاء الطلاب.

ومن أفضل الأمثلة على الإثراء والإغناء (برنامج الإثراء المدرسي الشامل) وهو يشتمل على ثلاثة مستويات مترابطة من الأنشطة في الإثراء التعليمي، تأتي على النحو التالي:

المستوى الأول: الأنشطة الاستكشافية العامة:

وفيه يحصل جميع الطلبة الموهوبين على مجموعة من الأنشطة والموضوعات العامة والأفكار الجديدة وفروع المعرفة والأحداث وغيرها من الأمور التي لا يتناولها - غالباً - المنهج المدرسي النظامي، وذلك بهدف استثارة اهتماماتهم وتشجيعهم على اكتشاف مواهبهم وميولهم الحقيقية، واختيار ما يناسبهم من أنشطة لصقلها والاستمرار فيها. ومن الأساليب المستخدمة في تقديم الأنشطة والموضوعات للطلاب في هذا المستوى، ما يلي:

- تبادل الزيارات مع الموهوبين في أماكن أخرى.
- الرحلات الميدانية للمتاحف والمعارض والمصانع.
- زيارة المؤسسات والمراكز العلمية والبحثية والإنتاجية والفنية.
- عرض الأفلام والشرائح والصحف والمحاضرات والندوات.

^٦ . أ. د. عبدالرحمن سيد سليمان، د. السيد محمد أبوهاشم، دراسات عربية في الموهبة والتفوق، دار القاهرة، ٢٠٠٤، ١٤٦.

- الحلقات النقاشية حول موضوعات جديدة ومثيرة للذهن.
- الأساتذة الزائرون في مجالات التعليم المختلفة.
- المجموعات الدراسية.
- عمل مشاريع في مجالات مختلفة ومنتوعة.

ويؤكد رينزولي أهمية تشجيع الطلبة الموهوبين لاستكشاف مجالات جديدة للاهتمام، وضرورة تنوع الأنشطة المطروحة، وإعطاء الوقت الكافي للطلبة للتعلم في هذه الأنشطة، ثم اختيار المجال المناسب للموهبة. ويختلف الطلبة - غالباً - في المدة التي يحتاجونها لتحديد مجالات اهتمامهم.

المستوى الثاني: الأنشطة التدريبية الفردية والجماعية :

ويُقصد بها المواد والخبرات التعليمية والأنشطة التدريبية، التي من شأنها تحسين العمليات المعرفية والانفعالية، ومساعدة هؤلاء الطلبة للوصول إلى استنتاجات وتعليمات أكثر من مجرد التركيز على محتوى عملية التعلم.

وهناك نوعان من الأنشطة في هذا المستوى، هما:

- (أ) **أنشطة مخططة مسبقاً:** مثل التدريب على مهارات اكتشاف المشكلات ومنها: مهارات البحث العلمي، والاتصال المرئي والشفهي، ومهارات التفكير العليا.
- (ب) **أنشطة تلقائية:** لم يُخطط لها، وفيها تعليم مفتوح في المجال الذي اختاره الطالب حسب نوع ودرجة الموهبة.

وتُعد مراكز الأنشطة والفعاليات المختلفة من أبرز الأماكن التي تجتذب الموهوبين من الطلبة، وخاصة إذا كانت تشتمل على تجارب ذات نهايات مفتوحة ، فهي أفضل اختيار بالنسبة للطلبة الموهوبين، مع ضرورة الحرص على توفيرها لهم في كل وقت، سواء في فترة الاستراحة بين الحصص، أو في فترات مختارة من اليوم الدراسي خاصة بعد انتهاء الطلبة من واجباتهم المدرسية، ومعلوم أنّ مراكز الأنشطة تلعب دوراً مهماً في تقديم معلومات دقيقة عن ميول الطلبة، وتحدّد مواطن النبوغ والموهبة.^٧

ومن هنا كان من الضروري أن تحظى هذه المراكز بعناية خاصة من القائمين على التخطيط في العملية التعليمية.

المستوى الثالث: البحث الفردي أو عن طريق مجموعات صغيرة لمشكلة واقعية:

إنّ أنشطة هذا المستوى تُعتبر ركيزة نموذج الإثراء الثلاثي، وهي أعلى مستوياته من حيث الصعوبة لأنها تتطلب قدرة عقلية مرتفعة، ومستويات عالية من الدافعية والرغبة في الإنجاز، والالتزام الخاص بمتابعة موضوع معين، والتعمق في دراسة مشكلة ما. وهذا يحتاج إلى وقت مضاعف مقارنة بأنشطة المستويين الأول والثاني. وتتراوح نسبة المستهدفين في هذا المستوى من ٥ إلى ١٠% فقط من مجموع الطلاب الموهوبين في المدرسة، بعد أن كانت تتراوح من ١٥ إلى ٢٠% في المستويين الأول والثاني.

^٧ . د. محمد بكر نوفل، الذكاء المتعدّد في غرفة الصف، النظرية والتطبيق، دار المسيرة، الأردن، ط١، ٢٠٠٧، ص٢٧٥.

ويلعب الطالب في هذا المستوى دور الباحث العلمي لمشكلات حقيقية، يختارها بنفسه، وتتاح له فرصة حقيقية لاستخدام ما سبق أن تعلمه من مهارات، ويتمكن من تطبيق معارفه وأفكاره الإبداعية. وينسق الطلبة إما فردياً أو جماعياً مع المعلم المشرف، أو معلم غرفة المصادر، وفي هذا المستوى يتم تدريب الطلبة على الإنتاجية الإبداعية^٨.

- برامج أيام العطل:

إنَّ برامج أيام العطل جزء من برنامج الإثراء المدرسي، وهي تقدم خبرة ممتعة ومبهجة للطلبة الموهوبين الذين يعملون معاً بعيداً عن الضغوط المدرسية العادية، وهذه البرامج تأخذ شكل صفوف صغيرة، وتغطي عدداً قليلاً من الموضوعات التي يقوم بتدريسها معلمون متخصصون، أو أساتذة في الجامعات، أو شخصيات متميزة في المجتمع، أو أولياء أمور الطلبة الموهوبين.

ومن أمثلة برامج أيام العطل نموذج فيلدهوزن الذي ترعاه جامعة بيردو، ويهدف إلى تلبية الحاجات المعرفية للطلبة الموهوبين، وتزويدهم بفرص حقيقية مناسبة لتطوير مهارات التفكير الأساسية، واكتساب قدر كبير من المعرفة، وتلبية الحاجات الانفعالية والاجتماعية لديهم.

والأنشطة السابقة (غرفة المصادر، برامج أيام العطل، تبادل الزيارات، الرحلات، ... يُطلق عليها بعض الباحثين مصطلح (بدائل الإثراء)

ثالثاً: برامج الإرشاد:

تلعب برامج الإرشاد دوراً مهماً في الاهتمام بالموهوبين ورعايتهم، ويشتمل البرنامج الإرشادي - غالباً - على ثلاثة محاور أساسية، هي:

(أ) الإرشاد الأكاديمي:

وتكمن أهمية هذا البرنامج بالنسبة للموهوبين في عدد من النقاط لعل من أبرزها:

- عدم كفاية المناهج الدراسية العامة لقدرات هذه الفئة واستعداداتها.
- جمود أنظمة القبول والترفيغ في المدارس.

(ب) الإرشاد النفسي:

إنَّ الطالب الموهوب يحتاج إلى الإرشاد النفسي بصورة أكبر من احتياج الطالب العادي له، وربما يرجع ذلك إلى عدد من الأسباب، منها:

- الحساسية الزائدة، وحدّة الإنفعالات وقوتها.
- الشعور بعدم الانسجام مع من هم دونه في القدرات.
- العزلة والانطواء الذاتي في كثير من الأحيان.
- النمو غير المتوازن في الجوانب المعرفية والأخلاقية والنفسيّة.

^٨ . بوابة للموهوبين، المملكة العربية السعودية، www.mohiba.net، ٢١/٣/٢٠١٤م، (بنتصرف)

(ج) الإرشاد المهني:

إنّ حاجة الموهوب للرعاية والاهتمام لا تقتصر على صفوف الدراسة، بل تتخطاها إلى إعداده لمرحلة البحث عن العمل والوظيفة الملائمة، ولعل من أبرز الصعوبات التي يواجهها الموهوب أثناء تفكيره في مرحلة البحث عن العمل ما يلي:

- تعدّد الخيارات المتاحة للدراسة وضرورة تحديدها (في المرحلة الثانوية).
- وجود التأثير السلبي للاتجاهات السائدة حول المهن المرموقة في المجتمع.
- التعلّق بالدراسة في مؤسسات بعينها، والاصطدام بالقيود المجتمعية أو الاقتصادية.

رابعاً: برامج فصل المبدعين عن العاديين Segregation:

وهي برامج مطبّقة في كثير من بلدان العالم، ويُطلق عليها أحياناً مدارس المتفوقين، وتسعى إلى فصل المبدعين عن الطلبة العاديين، ومن أشكال هذا الفصل، ما يلي:

- وجود مدارس مستقلة خاصة بهم لا يلتحق بها سواهم.
- وجود مدرسة داخل مدرسة الطلاب العاديين.
- وجود صفوف خاصة بهم داخل المدرسة.

وسنسلط الضوء في الأسطر التالية على ثلاثة محاور أساسية في رعاية الموهوب، وهي:

أولاً: المعلم:

لا يخفى على أحد الدور الرئيس الذي يلعبه المعلم في حياة الطالب بصفة عامة، والطالب الموهوب على وجه الخصوص، ولا يمكن أن نضع أية خطط لرعاية الموهوب دون أن يكون المعلم في مقدمتها، ولا بد أن تتوافر هذا المعلم سمات خاصة لعل من أبرزها، أن يكون:

- ذا شخصية قوية وثقة عالية بالنفس.
- متحمساً لعمله، محباً له.
- محباً لطلّبه ومستعداً لمساعدتهم.
- خبيراً في مجال تخصصه ومواكباً لما يستجد فيه.
- منفتحاً على الأفكار الجديدة، يقدر الإبداع.
- لديه قدر كبير من مهارات الاتصال مع الآخرين.
- لديه القدرة على التحرك بمرونة وعلى نحو ملائم⁹، وفي الوقت المناسب.
- ديمقراطي، مبادر، حاضر البديهة، منظم، مرح، متعاون.

⁹ د. أحمد توفيق حجازي، حياة مبدعة في عصر حديث، كنوز المعرفة، ط ١، ٢٠١٣، ص ٢٢.

- يشجع الطالب على البحث الذاتي.
- يمتلك قدرًا معقولاً من المعرفة والمهارة في الجوانب المهنية للتعليم.
- قادرًا على إدارة الصف بشكل ذكي.
- لا يميل إلى النمطية أو الرتابة والروتين، وهذا سيسهم في تخلي الطلبة عن النمط الروتيني في التفكير، ويشجعهم على تحليق أفكارهم في آفاق بعيدة واسعة.
- وهو يسعى دائماً إلى توجيه طلبه الموهوبين إلى تقمص أربع شخصيات أثناء عملية التعلّم، هي:

* شخصية **المستكشف** والتي تقود إلى البحث عن الفكرة الجديدة.

* شخصية **الفنان** والتي تقود إلى تكوين الفكرة الجديدة.

* شخصية **القاضي** والتي تقود إلى الحكم على الفكرة الجديدة.

* شخصية **المحارب** والتي تقود إلى تطبيق الفكرة الجديدة وتنفيذها.

ومما سبق نرى أنّ المعلم الذي يتعامل مع فئة الموهوبين، يجب أن يُعدّ إعدادًا خاصًا أثناء دراسته الجامعيّة، وأنّ تقدّم له برامج تدريبية مستمرة.

ثانيًا: الإدارة التعليميّة:

تلعب الإدارات التعليميّة دورًا خطيرًا في رعاية الموهوبين والاعتناء بهم.

ومن المهام المنوطة بها في هذا السياق:

- إعداد برامج خاصة، ووسائل دقيقة لاكتشاف الموهوبين (تقع على خبراء المناهج مسؤوليّة المشاركة في وضع الخطط التعليميّة الخاصة بمناهج الموهوبين).
- إعداد مناهج تعليميّة تلبي حاجات الموهوبين وتُشبع نهمهم.
- وضع محقّرات معنويّة وماديّة للمبدعين.
- إقامة مسابقات ومنافسات متنوّعة.
- تزويد المدارس والجامعات بأجهزة حديثة.
- دعم المكتبات المدرسيّة والجامعيّة وتوسيع خدماتها.
- ربط الطالب الموهوب بما يجري في العالم من تقدم في جميع مجالات الحياة.
- توفير بيئة دراسيّة مريحة ومشجّعة، وتحقيق مبدأ "بهجة التعلّم".
- إقامة دورات متخصصة وفقًا لنوع الموهبة.
- توفير الإرشاد النفسي المثمر.
- تقديم التوجيه التربوي المناسب.

ثالثًا: المنهج:

العملية الإبداعية لا تتكوّن في فراغ، ولا تنشأ من فراغ، فما من إبداع إلا وهو إبداع لشيء ومن شيء، إنه يرتبط دائماً بمادة أو موضوع. وهناك اتجاهات تدعو إلى تنمية الموهبة والإبداع من خلال موضوعات الدراسة، أي من خلال المناهج الدراسية ذاتها، وتقديمها بطريقة تساعد على إثارة الإبداع وتنشيطه، ولا يتعارض هذا النوع من التنمية الإبداعية مع طريقة إعطاء برنامج دراسي إبداعي مستقل ١٠، يتعامل معه الطالب الموهوب من خلال:

- الكتب الدراسية.
- مصادر التعلّم في المدرسة والمجتمع المحلي.
- الخطط الدراسية وأساليب التعليم.
- المناخ الصفي والمناخ المدرسي العام.
- النشاطات اللاصفية.
- التقويم والاختبارات.

ويرى بعض الباحثين أنّ تضمين الاختبارات أسئلة تتطلّب استجابات ابتكارية أكثر من الاعتماد على الذاكرة واسترجاع الحقائق والمعلومات المختزنة، يُعدّ من الوسائل الناجحة التعامل مع الموهبة، والارتقاء بها.^{١١}

خصائص يجب توافرها في مناهج الموهوبين:

هناك عدد من السمات التي ينبغي أن تتوافر في المنهج الخاص بالموهوبين، لعل من أبرزها:

- أن يخضع للتطوير بصفة دورية.
 - أن يكون مكتملاً وامتداداً مدروساً للمناهج العام.
 - أن يحدّد بوضوح المهارات والمفاهيم المطلوب إتقانها.
 - أن يركز على عمليات التفكير العليا وكيفية التعلّم.
 - أن يتضمن دراسات ونشاطات حرّة استقلالية.
 - يتصف بالشمولية والمرونة والتداخل بين ميادين المعرفة المختلفة
- وينبغي أن تكون مناهج الموهوبين متميزة عن مناهج المدرسة العادية من حيث:
- المرونة.
 - الشمول.
 - الأهداف.
 - المحتوى.
 - الأساليب والأنشطة.
 - النواتج.

وعلينا أن نسلّم بأنّ هناك الكثير من الأسباب والعوامل التي تسهم في نجاح برامج الموهوبين لتحقيق أهدافها، ومن أبرزها:

^{١٠} . د. عبدالستار إبراهيم، آفاق جديدة في دراسة الإبداع، وكالة المطبوعات، الكويت، ص ١٨٢.

^{١١} . د. ممدوح عبد المنعم الكنان، سيكولوجية الإبداع وأساليب تنميته، دار المسيرة، الأردن، ط ١، ٢٠٠٥، ٢٥١.

- وضوح فلسفة وأهداف البرنامج المُعد من قِبل المسؤولين.
- حُسْن اختيار الطلبة الموهوبين: من خلال المتابعة الدقيقة لهم، وتطبيق اختبارات فارزة بشكل صحيح.
- المعلم : حسن اختياره، وإعداده الإعداد الجيد، وتوفير التدريب المناسب له.
- المنهاج: أن يكون متميزاً، وموجهاً نحو أهداف محددة.
- وجود خدمات إرشادية متنوّعة.
- توافر التجهيزات اللازمة.
- توافر الموارد المالية التي تفي بالغرض.

وأخيراً نقول:

في عصر اتصف بالفقرات التكنولوجية المتسارعة، ومع وجود ساحات للرأي والمناقشة في مجالات مختلفة على الشبكة العنكبوتية، أصبحت برامج رعاية الموهوبين في سباق يومي مع مستجدات لا تتوقف. ويرى بعض الباحثين في مجال الموهبة أن انتشار وسائل الإعلام، وزيادة عدد الفضائيات، وكثرة وسائل التواصل الإلكتروني له تأثير إيجابي على الارتقاء بفكر الموهوب وتمتية الموهبة، ومن الممكن أن يسهم في مد جسور التواصل بين الموهوبين في قارات العالم أجمع، إضافة إلى تبادل الخبرات بين المهتمين في هذا المجال. ومن هنا فإنّ التحدي الكبير فيما يتصل بالتقدم التكنولوجي والتواصل الإلكتروني يتمثل في كيفية توجيه وسائل التواصل الإلكتروني التوجيه الأمثل الذي يسهم في إنشاء ما يمكن أن نطلق عليه: "رابطة المبدعين" على مستوى العالم بصفة عامة، وعلى مستوى العالم العربي على وجه الخصوص، وهذه تحتاج إلى تنسيق مُقنّ ومدرّس.

ومن الممكن أن تُستغلّ الإمكانيات التكنولوجية، وتوجّه لخدمة الموهوبين، وتُقام مسابقات برعاية المتخصصين لفتح باب التنافس في مجال تطويع التكنولوجيا لخدمة الموهوبين، ونشر ثقافة اكتشاف الموهبة ورعايتها على نطاق واسع خاصة عبر مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة مثل (تويتر، وفيس بوك)؛ وذلك من خلال فتح صفحات خاصة للارتقاء بالموهوبين تحت إشراف متخصصين.

الخاتمة:

وانطلاقاً مما تقدّم يمكننا القول:

إنّ رعاية الموهوبين والاهتمام بهم ضرورة حتمية تفرضها طبيعة الحياة؛ ذلك أنّ الموهوبين في كل مجتمع من المجتمعات هم الثروة الحقيقية، والطاقة الدافعة نحو التقدم والبناء؛ وبهم يمكن أن تصل الإنسانية إلى أعلى ما تطمح إليه. وإنّ الاستثمار في مجال رعاية المواهب من أنجح أنواع الاستثمار. وإنّ الجهود المبذولة في مجال رعاية الموهوبين جهود ملموسة، لكنها تحتاج إلى مزيد من التكثيف، والسرعة، والتخطيط الدقيق، ومزيد من التنسيق فيما بينها.

ومن توصيات البحث:

- ضرورة نشر ثقافة اكتشاف المواهب في المجتمعات.
- وضع برامج تدريبية لإعداد وتأهيل معلمي الموهوبين.
- وضع خطة قومية بعيدة المدى لرعاية الموهوبين.
- إنشاء "رابطة المبدعين" على مستوى العالم العربي.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

المراجع

- [١] د. أحمد توفيق حجازي، حياة مبدعة في عصر حديث، كنوز المعرفة، ط١، ٢٠١٣.
- [٢] عاصم محمود الحياتي، الشباب الموهوبون وكيفية توجيههم نحو العمل المبدع، آداب الرفادين.
- [٣] أ.د. عبدالرحمن سيد سليمان، د. السيد محمد أبوهاشم، دراسات عربية في الموهبة والتفوق، دار القاهرة.
- [٤] د. عبدالرحمن العيسوي، سيكولوجية الإبداع، دراسة في تنمية السمات الإبداعية، دار النهضة العربية، بيروت.
- [٥] د. عبدالستار إبراهيم، آفاق جديدة في دراسة الإبداع، وكالة المطبوعات، الكويت.
- [٦] د. محمد بكر نوفل، الذكاء المتعدّد في غرفة الصف، النظرية والتطبيق، دار المسيرة، الأردن، ط١، ٢٠٠٧.
- [٧] د. محمد حبيب الحوراني، تجارب عالمية في تربية الإبداع وتشجيعه، مكتبة الفلاح، الكويت.
- [٨] د. محيي الدين أحمد حسين، العمر وعلاقته بالإبداع، دار المعارف، القاهرة.
- [٩] د. ممدوح عبد المنعم الكنانة، سيكولوجية الإبداع وأساليب تنميته، دار المسيرة، الأردن، ط١، ٢٠٠٥.
- [١٠] بوابة الموهوبين، المملكة العربية السعودية، www.mohiba.net، ٢٠١٤/٣/٢١م، (بتصرف)